

المصدر: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية أحاديث رمضان 1437 . درر 2 . الحلقة الثالثة عشر : حقوق الأرحام والأقارب - القيم في التعامل بين الأفراد ، صلة الأرحام والأقارب - التكافل الاجتماعي . لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2016-06-18

بسم الله الرحمن الرحيم

حقُّ الأقارب في الإسلام: صلة لا تسقط بالإساءة

قال تعالى يصف المؤمنين :

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾

و قال تعالى بالمقابل يصف البعيدين المنحرفين :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

ما الذي أمر الله بوصله؟ من هم الأرحام وما حكم صلة الأرحام؟ ما مستويات هذه الصلة؟ وهل تدفع زكاة الأموال للأقارب المحتاجين؟ كيف نتعامل مع الأقارب المسيئين؟

الحقيقة أن الأرحام هم الأقرباء من جهة الأب ومن جهة الأم، والأصح أن نقول مطلق القرابات، لأن هناك تكافلاً اجتماعياً في الإسلام، فالأقربون أولى بالمعروف، لا بد من تكافل اجتماعي، والاجتماعي دائرة واسعة جداً، لكن هناك دائرة أضيق ؛ دائرة أقرباء الأب والأم معاً، وهذا واجب إسلامي كبير، وكأنه تضامن إسلامي، وكأنه تكافل إسلامي، تعاون، تكافل، تضامن، عطاء، إلى آخره، من جهة الأب ومن جهة الأم، ودائماً التوسع في مفهوم الأرحام أفضل من تضيق الدائرة، إذا توسعنا في مفهوم الأرحام لصالح الأرحام أنفسهم، الإنسان علة وجوده العمل الصالح، والحقيقة الأعمال الصالحة متنوعة جداً، والطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، أي أحد أكبر الأعمال الصالحة - الأقربون أولى بالمعروف - أن نعتني بأقربنا من جهة الأب، ومن جهة الأم.

هناك من يفهم أن صلة الرحم حينما يأتي العيد تسارع إلى وضع بطاقة عند أحد الأقارب، وكأنك تتمنى ألا تجده في البيت، عندك قائمة طويلة، ليست هذه صلة الرحم، الصلة أن تزوره، وأن تتفقد شؤونه، أن تطمئن على صحته ودخله وأولاده، وأن تعينه إذا استطعت، وأن تدله على الله في النهاية، أنا أذكر أن أحد الأخوة من أولي اليسار سمع درساً لي عن صلة الرحم كان الموضوع غائباً عنه كلياً، فبحث عن أقاربه، له عدة أقارب ما سبق أن زارهم إطلاقاً، الذي حدثني هذه القصة الشخص والذي نالته هذه الميزة زاره وجد بيته تحت الأرض، وفيه رطوبة عالية، والأولاد أصيبوا بالروماتيزم، أخذ له بيتاً في الطابق الثالث باتجاه أشعة الشمس. صلة الرحم تعاون كامل، والتعاون حضارة، والتعاون فضيلة، والتعاون قوة، والتعاون رحمة، والتعاون طاعة لله عز وجل، فحن نعيش في الدنيا لعمل صالح هو سبب الجنة، لأن الجنة لها ثمن قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ والحقيقة الدقيقة جداً أن الإنسان حينما يقترب أجله ماذا يقول؟ قال تعالى : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾، لم يتذكر إلا العمل الصالح لأنه علة وجودنا.

اجمع الأقرباء المتقاربين بالسن، تعرف حرفته، تعرف بيته، أولاده، دراسة أولاده، وضعه المادي أحياناً بشكل لطيف، أنت تعرف الوضع العام لمن حولك إذا أنت عندك رغبة أن تعمل عملاً صالحاً ممكن أن ترسم خطة، يجب أن تؤمن قسطاً جامعياً لهذا القريب، الطفل الشاب ذكي جداً، وأهله وضعهم المادي صعب، تؤمن قسطاً جامعياً لهذا الشاب، تؤمن بعثة لهذا، فالأقارب حينما يجتمعون، هناك قوي وضعيف، غني وفقير، أحدهم صاحب منصب رفيع والآخر من دهماء الناس وعامتهم، هذا التفاوت في الأقارب ممكن أن يكون فيه تعاون كامل، تفقد كامل، وضع اليد على نقاط الضعف في هذه الأسرة، أتمنى على كل أسرة أن يكون هناك أسماء، إحصاء معقول جداً مضبوط للرجال والشباب، وضعهم المادي والمعاشي، فلقاء العيد هذا نوع من صلة الرحم العالية جداً، صار هناك تعارف، أنت ضمن خطتك عندك عمل صالح، عندك زكاة مال أحياناً، ممكن أن تدفع زكاة المال بأسلوب هدية من دون أن تقول له : هذه زكاة مالي، تدفع الزكاة بأسلوب لطيف، هدية لابنه، قسط جامعة، ابنه متفوق قل له: هذا المبلغ هدية مني لجامعة ابنك، أنت ساعدته ودفعت من مال الزكاة بشكل لطيف، أمنت له حاجته الأساسية، الحقيقة من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه من دون منكر. أنا أقول : ممكن أن ندخل أعمالنا الصالحة التي هي فرض علينا والتي هي أحد أسباب وجودنا في الدنيا، قال تعالى : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾ وأن نوظفها في صلة الرحم. يجب أن نعرف أقاربنا، والأقربون أولى بالمعروف، ممكن عن طريق زيارة، ممكن أن تبدأ باتصال هاتفي، بعد ذلك زيارة، ثم تفقد بأسلوب ذكي جداً، وضعه المادي، أولاده بالجامعة ما وضعهم؟ ثم مساعدة بشكل هدية، نعمل طرقاً كثيرة جداً نقدم هذه المساعدات على شكل هدايا، وعلى شكل هدايا بمناسبة معينة.

البعض يترك صلة الأرحام بحجة أن أقاربي أسأؤوا إلي وكأن الصلة هي مكافأة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((ليس الواصلُ بالمكافئ...))، اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله فأنت أهله. أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك، أحياناً القريب عندما يسيء لقريبه، ويقابله بالإحسان تتشأ مودة تفوق حدّ الخيال، هو قطعك وأنت وصلته، هو ابتعد عنك وأنت تقربت منه، هو تكلم بحقك وأنت ما تكلمت إلا بالخير، فحينما أتخلق بأخلاق الإسلام وهناك نص دقيق : "تخلقوا بأخلاق الله عز وجل " يكون العبد مرتكباً كل المعاصي والآثام، فإذا تاب إلى الله يا رب قد تبت إليك، يقول : يا عبدي وأنا قبلت. هذه أخلاق الله عز وجل. هناك متاعب و تكليف، ما معنى ذو كلفة؟ أي تحتاج إلى عبء، فمن يعيش لوحده، ويمارس كل هواياته، ويتعد عن مشكلات المجتمع، مشكلات أقاربه، هذا ليس من بني البشر، أما الذي يحمل همّ أمته أولاً، وهمّ وطنه، وهمّ عائلته الكبيرة، وهمّ أسرته، وهمّ بلاده، كلما حملت همّاً أكبر كنت عند الله أقرب. كلما ارتفع مقام الإنسان اتسعت رؤيته، كلما ارتفع مقام الإنسان اتسعت همومه، تهمة أمته، يهمة وطنه، يهمة أقاربه، أبناء عمومته، كلما ارتفع الإنسان اتسعت رؤيته، وتتسع اهتماماته.